

## في الرواية الأمريكية كلهم منتصرون

### الكاتب



جميل مطر

جميل مطر

أقرأ أحياناً، وأسمع كثيراً، أن في واشنطن الآن من يعتبر أن المرحلة الراهنة من حرب غزة صارت تستدعي تدخلاًأمريكيًا مختلفاً، بعض الشيء، عن نمط التدخل خلال الأشهر الخمسة الماضية. أما التبرير الرسمي المسرّب إلى خارج دوائر صنع القرار، وأغلبها وللحق في حال ارتباك وشعور بالتعاسة، فيميل إلى اعتبار أن أطراف الصراع الحاد قد حققت، جميعها، انتصارات، كبيرة أو ضئيلة، في جانب، أو آخر، وهو الوضع الذي يستحق تدخلاً مناسباً

يعتمد هذا التبرير مبدأ تبنيه الدبلوماسية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ويقضي بأن أمريكا سوف تتعامل بطريقة مختلفة مع أطراف أزمة أنهكتها الحرب، أو في حال تفاقم الضرر الذي حاول بمصالح أمريكا. أمريكا سوف تعامل بمنطق أنهم جميعاً، حققوا انتصارات، من نوع أو آخر، وبدرجة أو أخرى. لنا في مصر، ولا شك، تجارب لا نغفلها، أو نتفاوض عنها، تجربتنا مع هنري كيسنجر مهندس الاستراتيجية الأمريكية، حين كان يتدخل لتقوية طرف ضعيف في صراع، حتى يصبح هذا الطرف الضعيف، أو المنبهك، طرفاً لائقاً وجاهزاً ليستحق صفة من صفات الانتصار، وبالتالي تتحسن مواقعه التفاوضية، وتحقق فرصته للقبول بوقف القتال، والشروع في الاندماج في العملية السياسية التي تنوى واشنطن إحتكار الإشراف عليها

كانت مثيرة خلال الأيام القليلة الماضية متابعتنا لتطورات الوضع في حرب غزة، أو حرب فلسطين، كما يجب أن تسمى، في سعينا لتوقع اللحظة في هذه الحرب التي تستوجب تدخل واشنطن لتغيير دفة الحرب، أو بالأصح، لمنع توسيعها وتمددها نحو آفاق قد يستحيل عندها تحقيق الأهداف الرئيسية لهذا الصراع. أنا شخصياً صرت مع الوقت أستبعد احتمال أن تترك أمريكا الأمور في الحرب، وفي الشرق الأوسط عامة، تتطور بالكامل نحو وضع لا تشارك في

صنعه، لاعتقادي أن مدرسة كيسنجر لا تزال هي الحاكمة في دوائر صنع القرار الاستراتيجي في واشنطن، ولاعتقادي أيضاً أن تغييراً ممكناً أو واقعاً بالفعل، صار يهدد ثبات واستقرار بعض القواعد السياسية الداخلية في الولايات المتحدة نتيجة الأزمة الناتجة عن هذه الحرب.

لاحظنا جميعاً على امتداد الأزمة إلى أي حد ذهبت الولايات المتحدة لثبت لمختلف الأطراف موقعها من هذا الصراع. رسخت قواعد انحيازها، ووضعت حدوداً، وهددت، علناً وسرأً، بفعال ضد من يتجاوز، أو حتى يقترب من هذه الحدود.. حاربت إلى جانب إسرائيل بكل أدوات الحرب، ما عدا الأفراد، وأقولها بتحفظ. لم تخجل أمام حلفائها العرب لكونها منحازة. لم تأبه لغضب الشعوب العربية، وشعب فلسطين في المقدمة. جرّرت دول حلف الأطلسي إلى مواقف مبالغ فيها، وخارجة عن مواطيق الحقوق، والعدالة، وحق تقرير المصير، وانتهاء عصر الاستعمار، وكلها يفترض أن تكون من «ثوابت»، وأخلاقيات السياسة في الحلف الغربي

اعتمدت أمريكا منذ بداية هذه الحرب سياسة الانحياز الكامل للموقف الإسرائيلي، مع احتفاظها بحقها في قيادة هذه العلاقة. على الجانب الآخر، اعتمدت إسرائيل على حقها في قيادة يهود أمريكا في أداء مهمة التأثير في صنع القرار الأمريكي، في أمور شتى، على رأسها مصالح إسرائيل

فاجأت أمريكا كثيراً من المراقبين عندما وجهت الدعوة لغانتس، عضو مجلس الحرب الإسرائيلي، لزيارة واشنطن وإجراء محادثات مع كبار المسؤولين، متزاولة نتنياهو بصفته رئيس الوزراء. كان واضحأً أن نتنياهو عازم على الاستمرار في تصعيد خلافه مع واشنطن، ولكن ما لم يكن واضحأً للكثيرين هو عمق الأزمة الداخلية في واشنطن، وأمور أخرى تدخلت جميعها لإقناع صانع القرار الأمريكي بأن إسرائيل لامست بالفعل الحدود المحظوظ الاقتراب منها، بل وربما تجاوزتها. من هذه الأمور

\*أولاً: صعدت الدول العربية ضغوطها على الحليفة الكبرى للضغط على إسرائيل لوقف إطلاق النار. وتعلم هذه الدول أن المقاومة يساعدها وقف إطلاق النار. وتعلم أيضاً، وهو الأهم، أن هذه الحرب أشعلت في الشعوب العربية نيران غضب لا عهد لها بمثلها. هذا الوضع، لو استمر، لهو أخطر على الاستقرار السياسي في كل هذه البلاد من أي عامل آخر.

ثانياً: استعادت القضية الفلسطينية مكانة مرموقة، ولعلها المكانة العالمية الأمثل منذ نشأة الصراع حولها. هذه المكانة لا تخدم بأي شكل مصالح أمريكا، ولا أهداف إسرائيل، واليهودية العالمية

ثالثاً: حذرت واشنطن كل الدول من توسيع نطاق الحرب الدائرة في غزة، وراحت تساند هذا التحذير بتحريك أسطول بعد آخر إلى شرق المتوسط، وجنوب البحر الأحمر، وزيادة القوة الإسرائيلية المغاربة، وتقديم خدمات استخباراتية سهلت لإسرائيل عمليات اغتيال قادة عسكريين، إيرانيين وفلسطينيين، في أنحاء متفرقة من الشرق الأوسط

رابعاً: دارت مناقشات وحوارات في أوروبا، وفي الشرق الأقصى، أقلها معلن. لم يخفِ غالب المشاركين فيها خيبة\*. أملهم في السياسة الأمريكية الراهنة

بالتدخل الأمريكي الفاضح والواضح في شؤون إسرائيل الداخلية والحساسة يجاذف الرئيس بايدن، وكثيرون من أعونه، ومن المرشحين للكونغرس في انتخابات الخريف، بمواجهة صريحة وللمرة الأولى مع الجماعة الصهيونية الأمريكية. أجاذف فأقول إن أمريكا لن تقدر على استعادة «الوضع القائم قبلًا»، سواء في الشرق الأوسط، أو في

إفريقيا، أو في فنائها الخلفي، بل ولن تقدر، بحالها الراهنة، وبحلفها المنهك والممضطرب، على المحافظة على الوضع القائم في أغلب أنحائها.

© 2024 حقوق النشر محفوظة "صحيفة الخليج".